

324213 - المسك مدح طيبه في السنّة، والذي يباع اليوم تكرهه بعض النفوس!؟

السؤال

وردت أحاديث كثيرة تُبين استحباب المسك للنبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يُرى وبيعه في مفارقه، ولكن سؤالي ما نوع المسك الذي كان يستخدمه عليه الصلاة والسلام فهل هو المسك الأسود؟ لأن رائحته قوية وغير محببة لدى البعض .

الإجابة المفصلة

“المسك” الذي عرفته العرب زمن نزول الوحي من أفضل أنواع الطيب ، بل هو أفضلها وأطيبها، كما تدل عليه نصوص الكتاب والسنة.

كقول تعالى: ﴿حِثَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾. المطففين/26.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

” ثبت في “صحيح مسلم”، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أَطْيَبُ الطَّيْبِ الْمِسْكُ).

وفي “الصحيحين”: عن عائشة رضي الله عنها: (كُنْتُ أَطْيَبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ، وَيَوْمَ النَّحْرِ، قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ، بِطَيْبٍ فِيهِ مِسْكٌ).

فالمسك: ملك أنواع الطيب، وأشرفها وأطيبها، وهو الذي تضرب به الأمثال، ويشبهه به غيره، ولا يشبهه بغيره، وهو كئبان الجنة...

وهو من أقوى المفردات ” انتهى من “زاد المعاد” (4 / 363).

والمسك يستخرج من غزال يسمى بـ “غزال المسك” وهو أنواع فمنه الجيد ومنه ما دون ذلك .

وأما المسك الذي يوجد اليوم عند العطارين، وتعافه النفوس؛ فإنه يقطع بأنه ليس هو المسك الذي عرفته العرب زمن الوحي وضربت به الأمثال، وليس هو المسك الذي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه، أو أنه من المسك لكنه رديء النوع لم يحسن استخلاصه من مصادره.

لأن المسك الذي تتابع أهل الأخبار على أنه كان يجلب إلى بلاد العرب هو مسك الغزال، وبينوا أنه تختلف جودته باختلاف طريقة استخراجة، وباختلاف مرعى الغزال الذي يستخرج منه .

قال شهاب الدين النويري رحمه الله تعالى:

” قال محمد بن أحمد بن الخليل بن سعيد التميمي المقدسي في كتابه المترجم بـ “جيب العروس وريحان النفوس”: المسك أصناف كثيرة، وأجناس مختلفة؛ فأرفعها وأفضلها التَّبْتِي ...

قال: وأصل المسك من بهيمة ذات أربع، أشبه شيء بالطَّبِي الصغير. وقد ذكرنا غزال المسك في “الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الثالث” ...

وقال الحسين بن يزيد السيرافي – وهو من أهل الخبرة ببرِّ الصَّين وبحرها، ومسالكها وممالكها-: إنَّ الأرض التي بها طباء المسك الصَّيني والتَّبْتِي أرض واحدة لا فرق بينهما، وأهل الصَّين يجمعون من المسك ما قرب منهم، وكذلك أهل التَّبْتِي. قال: وإنما فضِّل المسك التَّبْتِي على المسك الصَّيني لأمرين:

أحدهما: أنَّ طباء المسك التي في حدود التَّبْتِي ترتعى سنبل الطَّيب، وما يلي منها أرض الصَّين ترتعى سائر الحشائش.

والثاني: أنَّ أهل التَّبْتِي يتركون النَّوافج بحالها؛ وأهل الصَّين ربَّما يَغشُّون فيها، ولسلوكلهم بها في البحر وما يلحقها من الأنداء؛ فأما إذا ترك أهل الصَّين المسك في نوافجه من غير غشٍّ، وأحرز في البراني، وحمل إلى أرض العرب، فلا فرق بينه وبين التَّبْتِي في الجودة.

قال: وأجود المسك كلُّه ما حكَّته الطُّباء على أحجار الجبال، وذلك أنَّ المادَّة الغليظة الدَّمويَّة إذا انصَبَّت إلى سرر الطُّباء اجتمعت فيها كاجتماع الدم فيما يعرض من الدَّمامل، فإذا أدرك وأضجر الطُّباء، حكَّت السَّرر بالحجارة بحدَّة وحرقة فيسيل ما في السَّرر على أطراف الحجارة؛ فإذا خرج عنها جفَّت السَّرر واندمت وعادت المادَّة فاجتمعت فيها، فيخرج أهل التَّبْتِي في طلب هذا الدم السائل ولهم به معرفة، فيلتقطونه ويجعلونه في النَّوافج، ويحملونه إلى ملوك خراسان، وهو نهاية المسك جودة وفضلا، إذ هو ممَّا أدرك على حيوانه، فصار فضله على غيره من المسك كفضل ما يدرك من الثَّمار على أشجاره على ما يقطف قبل بلوغه وإدراكه.

قال: وغير هذا من المسك فإنَّما تصاد طباؤه بالشُّرك وبالسَّهام، وربَّما قطعت النَّوافج عن الطُّباء قبل إدراك المسك فيها. قال: على أنَّه إذا قطع عن طباؤه كان كريبه الرائحة مدَّة طويلة إلى أن يجفَّ على طول الأيَّام، فيستحيل مسكا...

وقال أحمد بن أبي يعقوب: أفضل المسك التَّبْتِي، ثم بعده المسك الصَّغدي، وبعد الصَّغدي المسك الصَّيني ...

وقال: أجود المسك في الرائحة والمنظر ما كان تقاحيا، تشبه رائحته رائحة التفاح اللبناني، وكان لونه تغلب عليه الصفرة، وكان بين الجلال والدقاق وسطا؛ ثم الذي يليه وهو أشد سوادا منه، إلا أنه يقاربه في الرائحة والمنظر، وليس مثله؛ ثم الذي هو أشد سوادا منه، وهو أدناه قدرا وقيمة... " انتهى من "نهاية الأرب" (12 / 1 - 14).

وينظر: "معجم البلدان" (2 / 11).

فالظاهر: أن هذا المسك الأسود الذي ذكرته إن كان أصيلا غير مغشوش؛ فلعله أخذ قبل نضجه وتمام طيب رائحته.

والذي نعتقده أنه لا علاقة له بالمسك المعروف عند العرب، والأقرب أنه شيء صناعي، مثل كثير من الأنواع المتداولة بين الناس.

والله أعلم.